ديزيره سقال

كتاب الرّجاء

٢٠١٧

مَكْتَبَةُ
لِسَانِ العَرَب
أ. علاء الدين شوقى
رابط بديل
lisanerab.com
www.lisanarb.com

ديزيره سقال

كتاب الرّجاء

٢٠١٧

١ – بداية الحكاية

مِنْ قَلْبِ الظّلامِ انْبَثَقَ الضّوْءُ، وَانسَلَّ إِلى قَلْبي.
هَكذا بدَأَتِ الحكايَةُ...

كانَ كُلُّ شَيْءٍ غارِقًا في الضَّبابِ. كَانَتِ الأَشْياءُ مائِعَةً مِنْ حَوْلي، وَالفَرَحُ يَخْتَرِقُ، وَالنّورُ أَعْمى.
يَدايَ يَعْمُرُهُما الشَّوْكُ، والزُّهورُ قَدْ ذَبُلَتْ...
كانَ البَرْدُ يَشُدُّني إِلَيْهِ، وَالفُقْدانُ يُحاصِرُ حَياتي، وَلا شَيْءَ مِنْ حَوْلي إِلّا الأَسى وَالغِيابَ...
كُلُّ ما حَوْلي فارِغٌ كَالمَوْتِ!

كُلُّ ما حَوْلي مُعْتِمٌ، بارِدٌ، وَالْيَأْسُ يَغْمُرُ الأَشْياءَ بِالدُّموعِ...

لَكِنَّكِ ٱنْبَثَقْتِ، وَديعَةً كَالأَطْفالِ، مِنْ قَلْبِ الفاجِعَةِ، فَانْكَسَرَتْ، وَعادَتْ إِلى فُؤادي خُيوطُ الأَمَلِ، تَمْتَدُّ إِلَيَّ مِنْ كِيانِكِ الرَّقيقِ، لِتُخْرِجَني مِنْ سِجْنِ الوَحْدَةِ وَالانْكِسارِ...

نَزَلْتِ إِلَيَّ عَلى حِبَالِ الشَّجَنِ، فَلَمَمْتِ حُطامَ قَلْبي، تَجْمَعينَ ما انْكَسَرَ، وَتَضُمّينَهُ إِلى قَلْبِكِ الرَّهيفِ، بِلا اسْتِئْذانٍ، لِتَبْدَأَ مَعَهُ قِصَّةُ انْخِطافٍ إِلى مِعْراجِ الذُّهولِ، أَقوى مِنَ الأَلَمِ...

هَكَذا خَرَجْتِ إِلَيَّ مِنْ أَحْزانِكِ الثَّقيلةِ، بَغْتَةً، وَلَمْ أَكُنْ أَراكِ، فَسَحَبْتِ مِنّي ما كَانَ يَرْبُطُني بِالوَحْدَةِ،

وَرُحْتِ تَرُدّينَ إِلى قَلْبي نورَ الحَياةِ، وَتَسْتَمِدّينَ مِنّي قُوَّةَ الاسْتِمْرارِ.

خَرَجْتِ إِلَيَّ، وَقَدْ خَلَعْتِ عَنْكِ ثَوْبَ القَلَقِ، عارِيَةً إِلّا مِنَ النّورِ الّذي يَلُفُّكِ، وَما كُنْتُ أُدْرِكُ أَنَّ كُلَّ هذا النّورِ يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ حَوْلَكِ، وَلا أَدْرَكْتُ أَنَّ عَيْنَيْكِ يُمْكِنُ أَنْ تَخْتَرِقا حُجُبَ قَلْبي، وتُخْرِجاني مِنْ طَبَقاتِ الأَسى الرَّهيبِ، بانْخِطافَةٍ واحِدَةٍ.

***

كُنْتِ لِيَ الأَمَلَ المفاجِئَ، في غَمْرَةِ اليَأْسِ الثّقيلِ؛ وَكُنْتُ لَكِ البَلْسَمَ المفْقودَ لِجُرْحِكَ المفْتوحِ.

كُنْتِ لِيَ النّورَ الآتي مِنْ عَلُ، يَخْتَرِقُ أَطْباقَ الظَّلامِ في حَياتي؛ وَكُنْتُ لَكِ أُغْنِيَةَ الفَرَحِ المسْتَحيلِ، تَتَناهى إِلى مَسْمَعِكِ منْ داخِلِ كِيانِكِ.

كُنْتِ لِيَ انْبِثاقَ المعْنى، مُجَدَّدًا، في الحَياةِ والأَشْياءِ؛ وَكُنْتُ لَكِ أُهْزوجَةَ الحُبِّ الأُولى الّتي تَحْمِلُكِ إِلى آفاقِ السّعادةِ والهَناءِ، بَعيدًا عَنْ حُطامِ العالَمِ المليءِ بِالأَنْقاضِ.

كُنْتِ لي عَوْدَةَ الرُّؤْيا، بَعْدَ أَنْ حَجَبَها المَوْتُ عَنْ بَصيرَتي، وَشَدَّني إِلى عَبَثِ الفَراغِ وَاللامَعْنى؛ وَكُنْتُ لَكِ سَعادةَ الحياةِ، تَكْتُبُ سُطورَ المعْنى عَلى صَفَحاتِ أَيّامِكِ الآتِيَةِ.

***

هكذا بَدَأَتِ الحِكايَةُ.

لَمْ يَعُدْ بَيْني وَبَيْنَكِ غَيْرَ هذا التَوَحُّدِ المذْهِلِ، في انْخِطافٍ لا مَثيلَ لهُ، أَبْعَدَ مِنَ الزَّمانِ الثّقيلِ، وَأَرْوَعَ مِنْ

خُيوطِ الشَّمْسِ وَهِيَ تُشْرِقُ عَلى الدُّنْيا، لِتَمْلَأَها بِالحَياةِ.

لَمْ يَعُدْ بَيْني وَبَيْنَكِ غَيْرُ هذا الذُّهولِ المدْهِشِ، يَحْمِلُنا إِلى أَقاصي الدَّهْشَةِ، لِنَكْتَشِفَ أَعْماقَ ذاتَيْنا، وَقَدِ انْحَجَبَتا بِقِناعِ العادِيِّ وَالمأْلوفِ.

لَمْ يَعُدْ بَيْني وَبَيْنَكِ غَيْرُ صَفاءٍ مُشْرِقٍ، لَوْنُهُ كَالنّورِ، وَرائِحَتُهُ أَريجُ الأَغاني، تَتَناهى إِلى مَسامِعِنا مِنْ حَناجِرِ الملائِكَةِ.

لَمْ يَعُدْ بَيْني وَبَيْنَكِ غَيْرُ قَصيدةِ العِشْقِ، مَغْموسَةً بِجِراحِ المعاناةِ، مُضَمَّخَةً بِلَوْنِ الفَرَحِ الَّذي يُبَلْسِمُ الجِراحَ، تَرْفَعُها نَبَضاتُ قَلْبَيْنا نَحْوَ مَذْبَحِ السّماءِ، لِتَصيرَ صَلاةً...

لَمْ يَعُدْ بَيْني وَبَيْنَكِ غَيْرُ أَلَقٍ أَصْفى مِنْ رَذاذِ النّورِ في قُدّاسِ الفَرَحِ، وَأَرْوَعَ مِنِ انْحِدارِ قَوْسِ قُزَحَ عَلى جَبينِ الأَرْضِ المغْسولِ بِالمطَرِ...

هَكذا بدَأَتِ الحِكايَةُ...

وَكُنّا، مَعًا، آتِيَيْنِ مِنْ بِلادِ الجِراحِ، مُضَعْضَعَيْنِ في غاباتِ القَلَقِ وَالأَسى، لا يَدَ نُمْسِكُ بِها، ولا مَكانَ نَأْوي إِلَيْهِ لِيرتاحَ كُلٌّ مِنّا. كُنّا مَعًا مُثْخَنَيْنِ بِجِراحِ الفاجعَةِ، حامِلَيْنِ حُطامَ الواقِعِ المؤْلِمِ، في مَتاهاتِ الزّمانِ الّذي صارَ خاوِيًا.

كُنّا، مَعًا، مُعْتَكِرَي الأَعْماقِ، مُصَدَّعَيْنِ، هائِمَيْنِ في مَدى الفُقْدانِ الواسِعِ، نَبْحَثُ عَنْ ذاتَيْنا، وَقَدْ تَثَلَّمَتا، وَأَثْخَنَتْهُما الجِراحُ...

إِلْتَقَيْنا حِينَ انْهَلَّ النورُ عَلى بَصيرَتِنا.

إِلتَقَيْنا، بَغْتَةً، مَذْهولَيْنِ، كَأَنَّما الزَّمانُ تَلاشى، والمكانُ مِنْ حَوْلِنا باتَ مَدًى بِلا انتِهاءٍ...

إِلْتَقَيْنا في شَرارَةِ المفاجَأَةِ، في ذُهولِ الوَعْدِ الَّذي لَمْ نَعْرِفْ بِهِ، في سَلامِ الرّوحِ الَّتي جمَعَتْ خُطانا بَعْدَ رَحيلِها، وَلَمْ نُدْرِكْ، في انْبِثاقِ قَصيدةٍ حُروفُها مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ، وَسُطورُها تَفْتَحُ أَبْوابَ السّماءِ...

وَما كُنْتُ أَعْرِفُ، قَطُّ، أَنَّكِ أَنْتِ الحلْمُ المخَلِّصُ بَعْدَ الفاجِعَةِ، ولا كُنْتِ تَعْرِفينَ أَنَّني أَنا المقيمُ في ذاتِكِ، بَعْدَ أَنْ صَدَّعَها الفُقْدانُ الثّقيلُ.

هكذا بدَأَتْ الحِكايَةُ،

وَعادَتْ إِلَيْنا، مُجَدَّدًا، مَعالِمُ الطّريقِ.

هَكَذا انْكَشَفَ الآتي لَنا، قادَتْ خُطانا إِلَيْهِ روحٌ يُجَلِّلُها السَّلامُ، تَحْرُسُ دَرْبَنا مِنْ فَوْقُ، مِنَ السّماءِ...

هَكَذا انْكَشَفْنا لَنا،

وَلَمْ نَكُنْ نَعْرِفُ أَنَّ أَحَدَنا نِصْفُ الآخَرِ، وَأَنَّ كُلَّ ذاتٍ مِنْ ذاتَيْنا الملْتَئِمَتَيْنِ تَبْحَثُ عَنِ الْتِئامِها، وَقَدْ جَمَعَتْها بِذاتِها سَكينَةُ الرّوحِ الهائلَةُ، وَصفاءُ مَحَبَّتِها، وبَراءَةُ ذاتَيْنا.

هَكَذا انْكَشَفْنا لَنا،

وَكانَ ٱنْكِشافُنا أَرْوَعَ نورٍ في عَيْنَيْنا بَعْدَ سَراديبِ الأَسى، وَأَنْقى شُعاعٍ يَشُدُّنا إِلَيْنا، لِنَخُطَّ حُروفَ قَدَرٍ جَديدٍ، وَنَجْعَلَ مِنْ ذاتِنا الملْتَئِمَةِ مِعراجًا إِلى سَماءٍ جَديدَةٍ، وَقصيدَةً لِلعالَمِ الآتي...

٢ – فصل الانكشاف

تَراءى النّورُ في ذاتَيْنا، فَٱنْكَشَفْنا.

لَيْسَ بَيْني وَبَيْنَكِ سِتارٌ، وَلا مَوْعِدٌ، وَلا حَدٌّ.

كُلُّ ما بَيْنَنا انْفَتَحَ فَجْأَةً عَلى نُورِ المفاجَأَةِ.

وَعَرِيَتْ ذاتانا أَمامَ عَيْنَيْنا، وَالتَقَيْنا في ٱنْكِشافِنا بِلا مِيعادٍ، وَلا تَدْبيرٍ...

وَحْدَنا، عارِيَيْنِ أَمامَ النّورِ المُنْدَفِقِ عَلَيْنا مِنْ داخِلٍ.

وَحْدَنا، عارِيانِ أَمامَ الصّفاءِ الأَثيريِّ الّذي يُحيطُ بِنا.

وَحْدَنا، عارِيانِ أَمامَ مَعْبَدِ ذاتَيْنا، نَفْتَحُ روحَيْنا لِتَتَعانَقا، وَتَغْتَسِلا في يَنابيعِ النّورِ المتَفَجّرِ مِنْهُما، وَجَسَدَيْنا لِيَنْصَهِرا في نَشْوَةِ الاتِّحادِ.

لَيْسَ بَيْنَ ذاتَيْنا سِتارٌ.

كُلُّ شَيْءٍ شَفّافٌ كَالنّورِ؛ وَالصّفاءُ الخارِجُ مِنّا يَنْداحُ عَلى المكانِ الَّذي حَوْلَنا، وَعَلى الزَّمانِ الّذي تَوالى في قَدَرِنا الجَديدِ.

كُلُّ شَيْءٍ أَمامَنا ٱسْتَيْقَظَ، وَارْتدى حِلَّةً جديدَةً، فَتَغَيَّرَتْ مَعالِمُهُ في ضَوْءِ ٱنْكِشافِنا الجديدِ.

كُلُّ شَيْءٍ مُضيءٌ بِنا مِنْ حَوْلِنا.

كُلُّ فِكرةٍ خَرَجَتْ مِنَ الحُزْنِ ٱمَّسَحَتْ بالنّورِ، فكَساها فَرَحٌ شَفيفٌ، وَٱغْتَسَلَتْ مِنَ الأَسى وَالشَّجَنِ.

كُلُّ عَلاماتِ الغُرْبَةِ سَقَطَتْ، وَالغُبارُ الَّذي أَثارَتْهُ كُلُّ ذاتٍ مِنْ ذاتَيْنا وهِيَ تُواجِهُ واقِعَها ٱنْجَلى، وَتَكَشَّفَ عَنْ قَلْبٍ أَبْيَضَ، رَسَمَتْهُ ذاتانِ مُؤْتَلِفَتانِ، لا يَفْصِلُ بَيْنَهُما صِراعٌ، وَلا فاجِعَةٌ، ولا ٱضْطِرابُ كِيانٍ.

كُلُّ عَلاماتِ الغُرْبَةِ سَقَطَتْ، وَسَقَطَ التَّوَحُّدُ الَّذي سَكَنَ كِيانَيْنا، وَالأَسى الَّذي أَوْرَقَ فينا عَبْرَ الفاجِعَةِ.

كُلُّ عَلاماتِ الغُرْبَةِ سَقَطَتْ، وَٱنْبَثَقَ مِنْها تَواصُلٌ لَوْنُهُ كَالفَرَحِ الباسِمِ، وَرائِحَتُهُ مِنْ زُهورِ السَّماءِ.

لَمْ يَعُدْ بَيْني وَبَيْنَكِ غَيْرُ هذا الحِسِّ الرَّقيقِ، يَغْسِلُ الكِيانَ، وَيَرْقى بِهِ إِلى آفاقٍ مُضيئةٍ، يُحيطُ بِها الذُّهولُ.

لَمْ يَعُدْ بَيْني وَبَيْنَكِ غَيْرُ الخُيوطِ الذَّهَبِيَّةِ الخارِجَةِ مِنْ قَلْبَيْنا، تَتَعانَقُ في انْخِطافِ الظَّنِّ، وَتَتَآلَفُ سُلَّمًا يَرْتَفِعُ بِنا إِلى الأَثيرِ.

***

لمْ يَعُدْ فينا سِوانا —
غَرِقَ العالَمُ في هَذا العِناقْ،
وَتَوارى وَجَعُ الوَحْشَةِ.
كَانَ الأَمَلُ النّابِتُ
في إِثْرِ خُطانا
يَغْسِلُ الواقِعَ
مِنْ هَوْلِ الفِراقْ...

لَمْ يَعُدْ فينا سِوانا.
بَيْنَنا الحُلْمُ الَّذي يَسْكُنُنا
نازِلًا مِنْ فَوْقُ،
مَنْثورًا عَلى قَوْسِ قُزَحْ...
بَيْنَنا الحُلْمُ الَّذي
يَغْسِلُ بِالنّورِ مُنانا،
وَيُصَفّي الذّاتَ في ماءِ الفَرَحْ...

***

إِنْكَشَفْنا.

وَمَع هذا، رَجِعَ إِلى الذّاتِ بَعْضُ اهْتِزازٍ مِنْ نِثارِ الماضي، وَٱرتِداداتِ الأَسى الغابِرِ، فَأَحاطَ بِذاتَيْنا، لِيَجْرَحَ بَعْضَ ما كَشَفَهُ الفَرَحُ فيهِما، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُغَطِّهِما، وَلا ٱسْتَطاعَ أَنْ يَغْلُبَ هذا الانْكِشافَ.

إِنْكَشَفْنا،

وَلا شَيْءَ يَغْلُبُ النّورَ المُنْداحَ مِنّا، لا شَيْءَ يَقْهَرُ إِشْراقَنا الرّائِعَ كَالصّلاةِ، وَهُوَ يَتَّسِعُ، آنًا بَعْدَ آنٍ، لِيُغَطِّيَ لَيْلَ الأَشْياءِ مِنْ حَوْلِنا، وَيَمْسَحَ غِلالَةَ الغُموضِ الَّتي كَانَتْ أَمامَنا.

إِنْكشَفْنا.

صارَتِ الصّلاةُ قَصيدةً تَخْرُجُ مِنْ قَلْبَيْنا إِلى السَّماءِ، حُروفُها مِنْ نورِ عَيْنَيْكِ، وَسُطورُها مِنْ مِدادِ قَلْبي، وَإِيقاعُها مِنَ العِشْقِ الَّذي يَطيرُ بِنا نَحْوَ الأَعْلى.

صارَ البَوْحُ حَديقةَ ٱنْخِطافٍ تَبْدَأُ مِنْ عَيْنَيْكِ المشرِقَتَيْنِ، وَتَنْتَهي في كِيانيَ المفْتوحِ لِنورِكِ الرّائِعِ.

صارَتِ الكَلِماتُ أُنْشودَةً عُلَوِيَّةً، تَنْداحُ مِنْ شَفَتَيْكِ الرَّقيقَتَيْنِ، لِتَسْكُنَ أُذُنَيَّ اللَتَيْنِ غَوَتا بِأَلْحانِكِ.

***

بَيْنَ روحي وَروحِكِ
هَذا العِناقُ الطَّويلْ...
وَالمدى يَتَناثَرُ فيهِ.
كَأَنَّ السّماءْ
رَسَمَتْ، عَبْرَ ذاتي وَذاتِكِ،
أُهْزوجَةً لِلصّفاءْ
وَضِياءً رَقيقًا، عَليلْ...

بَيْنَ روحي وَروحِكِ

كَوْنٌ تَغَيَّرَ،
وَٱنْداحَ فيهِ الأَلَقْ.
صِرْتِ أَنْتِ كِياني
أُعَمِّرُ فيهِ مِنَ النّورِ ذاتًا،
وَأَمْسَحُ عَنْكِ غُبارَ القَلَقْ.
تَراءَيْتِ فِيَّ، بُعَيْدَ انْكِشافِكِ،
كَوْنَ رُؤًى،
وَمَدًى يَتَعَمَّدُ في الحُلُمِ المتَفَتِّحِ،
لا شَيْءَ، بَعْدُ، سِواكِ
يَطيرُ بِذاتي إِلَيْهِ،
ولا شَيْءَ...
لا شَيْءَ يَسْكُنُني
غَيْرُ عَيْنَيْكِ.
لا شَيْءَ يَدْفُقُ في القَلْبِ

نورَ الحُبورِ سِواكِ —
وَما فيكِ غَيْرُ حُبورٍ وَنورْ.
فَكيْفَ، إذًا،
لا أُزَيّنُ قَلْبي بِعَيْنَيْكِ؟
كَيْفَ، إذًا، لا أُقَدِّمُ قَلْبي لِعَيْنَيْكِ،
أَنْثُرُ حِبْرَ دَمي
فَوْقَ هَذي السُّطورْ؟

***

إِنْكَشَفْنا.

صارَ المدى أُهْزوجَةً لَنا تَمْسَحُ في ٱنْكِشافِنا لَمَعاتِ القَلَقِ وَتَرَدُّداتِ الأسى، وَتَحْمِلُنا إلى آخِرِ المكانِ، لِتُقيمَ ذاتُنا في عُرْسِ السّكينَةِ.

صارَ الزّمانُ غِيابًا تامًّا مِنْ حَوْلِنا، لا حُضورَ فيهِ سِوانا، وَلا شَيْءَ يَتَراءى غَيْرُ ذاتَيْنا المتَعانِقَتَيْنِ عَلى شَفيرِ الأَبَدِ، تَقْرَأانِ الحُضورَ قَصيدةً جَديدَةً، إِيقاعُها نَبْضُ قَلْبَيْنا المتَعانِقَيْنِ، وَحُروفُها ذَوَبانُ جَسَدَيْنا في نَشْوَةِ ٱنْكِشافٍ سَماوِيَّةٍ، تُصَلّي لِلزَّمَنِ الآتي...

٣ – فصل الخروج إلى الزمن الجديد

ها أَخْرُجُ مِنّي،

أَتْرُكُ خَلْفي وَجَعَ الذِّكْرى، وَحُدودَ الأَلَمِ المفْتوحِ، وَالصَّبْرَ الهاجِعَ في صَمْتِ الوُجوهِ المرافِقَةِ.

أَتْرُكُ خَلْفي حُدودي عَلى إِيقاعِ الأَيّامِ الخَوالي، وَنَهاراتِ الزَّمَنِ الّتي جَفَّتْ، وَأَتَقَدَّمُ نَحْوَ حُدودِ عَيْنَيْكِ.

ها أَخْرُجُ مِنّي

لِأَدْخُلَ في جِلْدِكِ، عَميقًا... عَميقًا... وَنَنْسى، مَعًا، ذُهولَ القَضاءِ المفاجِئِ، في مَلَكوتِ التَحوُّلِ الجَديدِ.

كُلُّ ما فيكِ يَسْحَبُني إِلَيْهِ.

كُلُّ ما فيكِ يَلْتَقِطُ حَواسّي، لِتَخْرُجَ روحي إِلَيْهِ، وَقَدْ غَرِقَتْ عَيْنايَ في مِهْرَجانِ الأَلْوانِ...

كُلُّ شَيْءٍ أَمامَنا خالٍ إِلّا مِنّا؛ وَفي هُبوبِ الأَشْياءِ وَهِيَ تَرْسُمُ ذاتَها بَعْضُ قَلَقٍ، يُرى وَلا يُرى.

كُلُّ شَيْءٍ خالٍ، بَعْدُ، إِلّا مِنّا، وَبَيْنَ اللَحْظَةِ واللَحْظَةِ أَبَدٌ مِنَ التَّوْقِ وَالرَّغْبَةِ، وَبَرارٍ واسِعَةٌ مِنَ الكَشْفِ المذْهِلِ.

كُلُّ شَيْءٍ يَسْتَضيءُ بِنا، وَنَحْنُ في عِناقٍ أَبْيَضَ، على شَفيرِ هذا العالَمِ المهْجورِ.

لَيْسَ في الدّاخِلِ غَيْرُ ذاتِنا.

لَيْسَ في الدّاخِلِ غَيْرُ نَبْضٍ جَديدٍ مِنْ قَلْبِنا الملتَئِمِ، وَانْشِدادٌ لا يَنْتَهي نَحْوَ الصّفاءِ الأَخيرِ.

***

ها نَخْرُجُ مِنّا...

نَبْدَأُ زَمَنًا جَديدًا، أَوَّلُهُ يَغْتَسِلُ بِنورِ عَيْنَيْكِ، وَمَداهُ يَتَحَرَّكُ بَيْنَ ٱخْتِلاجاتِ قَلْبِيَ المفْتوحِ.

نَبْدَأُ زَمَنًا جَديدًا، أُولَدُ فيهِ مِن ٱبْتِسامَتِكِ المضيئَةِ، وَتولَدينَ أَنْتِ مِن ٱنْشِدادي إِلَيْكِ، كَحِكايَةِ السَّماءِ... وَعَيْنانا المتَلازِمَتانِ تَرْقُبانِ النّورَ الخارجَ إِلَيْنا مِنْ داخِلِنا، لِيَرْسُمَ حَوْلَنا صورَةَ القَدَرِ الجديدِ، وَقَدْ عادَ إِلَيْنا بِهِ ما ضَعْضَعَتْهُ الأَيّامُ فينا، نُبَلْسِمُ الجِراحَ، ونَعْبُرُ نَحْوَ الآتي.

كُلُّ شَيْءٍ جَديدٌ، وَقَلْبُكِ البِكْرُ يَصْنَعُ مِنْ خَلَجاتِهِ سُلَّمًا أَثيرِيًّا رائِعًا، أَعْبُرُ عَلَيْهِ نَحْوَ روحِكِ المتَفَتِّحَةِ.

كُلُّ شَيْءٍ جَديدٌ؛ وَلَيْسَ فِيَّ وَفيكِ غَيْرُ ٱبْتِساماتِ الضِّياءِ تَنْهَلُّ عَلَيْنا، وَأَناشِيدُ الصّفاءِ تَخْرُجُ مُبْتَعِدَةً بِنا عَنْ عَكَرِ التّوَجُّسِ، وَظَلاماتِ الخِشْيَةِ.

كُلُّ شَيْءٍ جَديدٌ:

أَتَعَلَّقُ بِجِبالِ نَظَراتِكِ الضَّوْئِيَّةِ لِأَرْقى، مَكْشوفًا، عارِيًا، إِلى سَماءِ عَيْنَيْكِ، وَتَتَعَلَّقينَ أَنْتِ بِجِبالِ وِجْداني، لِتَدْخُلي عَالَمَ الدَّهْشَةِ يَصْنَعُ مِنْكِ ٱمْرَأَةً أُخْرى...

كُلُّ شَيْءٍ جَديدٌ، وَشَراراتُ الذُّهولِ تُضيءُ طَريقَنا، وَمَطَرُ الأَلَقِ الَّذي يَنْزِلُ عَلَيْنا يَغْسِلُ روحَيْنا، لِيَنْبُتَ فيها عُشْبُ الضِّياءِ الأَبْيَضُ.

نَبْدَأُ زَمَنًا جَديدًا، حَيْثُ نَكْتَشِفُ ذاتَيْنا المتَعانِقَتَيْنِ، وَقَدِ انْفَتَحَتْ كُلُّ ذاتٍ عَلى الأُخْرى، وَانْكَشَفَتْ لَها، وَحَيْثُ أَجْراسُ الآتي تُؤْذِنُ بالدُّخولِ...

كُنْتِ تَفْتَحينَ فِيَّ مَعابِرَ النّورِ إِلى طَريقٍ يَمْلَأُها المدْهِشُ، وَتَنْبُتُ عِنْدَ أَطْرافِها غَمْغَماتُنا الخاشِعَةُ.

كانَتْ عَيْناكِ تَطيرانِ بِروحي إِلى أَصْقاعٍ مِنَ الخَيالِ، في أَرْضٍ بِكْرٍ، تَرْسُمُ حُدودَها وَداعَتُكِ الوارِفَةُ، وَتُزَيِّنُ فَضاءَها دَقّاتُ قَلْبِكِ الرَّقيقِ، وَهُوَ يَحْنو عَلَيَّ كَأَنْسامِ السّماءِ...

نَبْدَأُ زَمَنًا جَديدًا.

أَكْتُبُكِ قَصيدةً بِحِبْرِ قَلْبي عَلى سُطورِ كِيانِيَ المفْتوحِ أَمامَكِ.

أَكْتُبُكِ قَصيدَةً بِأَهْدابِ عَيْنَيَّ، تَنْسَلُّ كَلِماتُها إِلى شَراييِنِ هَذا الزَّمَنِ الجديدِ، لِتَغْوى بِها الثَّواني...

أَكْتُبُكِ قَصيدَةً بِكْرًا، حُروفُها نَبَضاتُ الفُؤادِ، وَإِيقاعُها العُمْرُ الأَخْضَرُ وَهُوَ يَقْفِزُ فَوْقَ حُدودِ الثّواني، وَوَراءَ فَضاءِ الذِّكْرَياتِ.

يا قَصيدَتِيَ البِكْرَ ٱلّتي لَمْ يَقْرَأْها غَيْري،

يا حَرْفِيَ الرّائِعَ الَّذي ٱخْتَصَرَ الأَبَدَ،

يا هَمْسَ الصّلاةِ...

***

مُوغِلًا في حُقولِ الضِّياءْ،

أَتَقَرّى بِعَيْنَيْكِ حَرْفَ القَصيدَةِ
وَالأَلَقَ المتَجَمّعَ حَوْلَ كِيانِكْ،
وَأُحَصِّنُ بِالزَّهْوِ أُفْقَ زَمانِكْ،
راسِمًا في قَرارِكِ
دَرْبَ السَّماءْ...

موغِلًا في حُقولِ الضِّياءْ،
أَمْسَحُ الحُزْنَ عَنْكِ بِقَلْبي
لِأَتْرُكَ فيكِ ٱمْتِدادَ البَهاءْ.

موغِلًا في حُقولِ الضِّياءْ،
أَجْمَعُ الشِّعْرَ

في ضَوْءِ عَيْنَيْكِ
مُنْخَطِفًا في حُروفِ القَصيدَهْ،
حِبْرُها مِنْ دَمي،
راسِمًا فَوْقَ هَذي السُّطورِ المديدَهْ
أُفُقًا مِنْ بَهاءِ رُؤانا
يُزَيِّنُ هذا الفَضاءْ...

***

نَبْدَأُ زَمَنًا جَديدًا.

أَرْسُمُكِ حَديقةَ شِعْرٍ تَبْدَأُ في قَرارَةِ قَلْبي، وَتَمْتَدُّ إِلى أَعْماقِ الفِرْدَوْس.

أَرْسُمُكِ نَجْمَةً تُرَصِّعُ عَيْنَ الصَّلاةِ، وَتَبْرُقُ كَالأَمَلِ في فَرَحِ الأَيّامِ الآتِيَةِ.

أَرْسُمُكِ صَلاةً تَنْتَشِرُ في قَلْبي كَالبَخورِ، نَبَضاتُها هَمْسُ فُؤادي، وَحُروفُها مِنْ ذُهولِ عَيْنَيَّ فِيكِ، تُرَتِّلُها حَناجِرُ الملائِكَةِ وَهِيَ تَخْشَعُ أَمامَ روحِ اللهِ، في قُدْسِ المَلَكوتِ...

يا ٱمْرَأَةَ الزَّمَنِ الجديد،

يا ٱمْرَأَةً اخْتَصَرَتْ حَياتي كُلَّها في ٱبْتِسامَةٍ واحِدَةٍ تَسيلُ عَلى شَفَتَيْها،

يا قَصيدَةَ الزَّمَنِ الآتي،

يا حُدودَ الرَّجاءِ...

٤ – فصل الدخول إلى الذات

وَاقِفَةً أَمامَ ذاتِكِ مَعي، تَقْرَعينَ رِتاجَ الدُّخولِ...

فَٱفْتَحي بابَها، بَعيدًا عَنِ الدَّهْشَةِ، بَعيدًا عَنِ القَلَقِ الّذي حَجَّرَ أَيّامَكِ في الخارِجِ، وَلَفَّكِ بِالضَّبابِ الثَّقيلِ.

إِفْتَحي بابَ ذاتِكِ مَعي، وَٱعْبُري بِي إِلَيْها، فَنَكْسِرَ حِصارَ المَحْظورِ، وَنُمَزِّقَ سِتارَ الخَوْفِ الّذي يَحْجُبُ الجَوْهرَ السّاكِنَ.

إِفْتَحي بابَ ذاتِكِ مَعي، وَٱكْسِري بِيَدَيَّ جِدارَ التَرَدُّدِ، وَٱعْبُري حاجِزَ الخَشْيَةِ المكَوَّمَةِ فيكِ، مَرْسومَةً

صُوَرًا وَأَقْنِعَةً وَأَشْكالًا، وَٱخْطي قُدُمًا، فَنَسْلُكَ طَريقَ النّورِ.

هذا هُوَ الحَدُّ الأَخيرُ، فَخُذي قَلْبي دِرْعًا لَكِ، وَرُدّي عَنْكِ هَواجِسَ السُّقوطِ؛ وخُذي كِياني سَيْفًا، وَٱضْرِبي بِهِ ظَلامَ الوَهْمِ الهاجِعِ في أَعْماقِكِ الرّائِعَةِ.

هَذا هُوَ الحَدُّ الأَخيرُ،
فَهاتي يَدَكِ، وَٱعْبُري خارِجَ تُخومِ المَمْكِنِ المَحْظورِ.

***

كانَ صَدَأُ الماضي يُجَرّحُ عَيْنَيْكِ الأَثيرِيَّتَيْنِ، وَضَبابُ الخِسْرانِ يَلُفُّ الأَرْضَ مِنْ حَوْلِكِ، فَتَميعُ، وَتَغْرَقُ فيها الخُطى، مُراوِحَةً في التّيهِ. وَكانَ الذُّهولُ

الجديدُ يُلِحُّ عَلَيْكِ، فَتَنْكَشِفينَ لي، عارِيَةً كالضَّوْءِ، شَفّافَةً كَبِلَّوْرِ الملائِكَةِ.

إِثْنا عَشَرَ عامًا تَلُمّينَ جِراحَ الماضي، وَقَدْ صَدِئَتْ حَوْلَ قَلْبِكِ الرَّهيفِ، وَكُنْتِ جُعْتِ عِشْرينَ مِنْ قَبْلُ إِلى نورٍ يَرِقُّ لَكِ، وَيَحْضُنُ حَنانَكِ المبَدَّدَ. صَدِئَ الماضي حَوْلَ وَحْشَتِكِ الرَّهيبةِ، وَحاصَرَ قَلْبَكِ بِالشُّعورِ المعْتِمِ، فَنَسِيَ النَّبْضَ، وَٱرْتَدَّ عَلَيْكِ يُجَرِّحُ أَيّامَكِ بِمَخالِبِهِ، وَيَنْخُرُ فِكْرَكِ بِسُمِّ المراوَحَةِ. وَلا شَيْءَ مِنْ حَوْلِكِ إِلّا الفَراغَ المديدَ...

إِنْقَضَّ الماضي عَلَيْكِ، عامًا بَعْدَ عامٍ، حَتّى واجَهَهُ حاضِرٌ قَوِيٌّ، يَضْرِبُ صَفاقَتَهُ بِمِطْرَقَةِ العَزْمِ، وَيَدْفَعُ بَقَلْبِكِ، قُدُمًا، نَحْوَ دَرْبِ النّورِ.

هَكَذا وَقَفْنا مَعًا أَمامَ ذاتِكِ، تَحْمِلُكِ جُرْأَةٌ ٱمْتَدَّتْ إِلَيْكِ مِنّي، وَعَزْمٌ خَرَجَ نَحْوَكِ مِنْ كِيانِي، لِيَقْهَرَ الماضي.

فَٱخْطِي خَطْوَكِ نَحْوَ ذاتِكِ، وَٱفْتَحي نَوافِذَها عَلى النُّورِ المحَرِّرِ.

إِخْطي خَطْوَكِ، وَٱعْتَمِدي بِوَجيفِ قَلْبي، وَٱغْسِلي كِياني بِنورِ عَيْنَيْكِ، لِيَصيرَ لَكِ جِسْرًا تَعْبُرينَ بِهِ فَوْقَ رُكامِ الماضي الرَّهيبِ نَحْوَ ذاتِكِ المفْتوحَةِ.

***

ذاتُكِ الآنَ ضَوْءٌ رَهيفٌ

يُشيرُ إِلَيْكِ،

وَيَدْفِقُ نورَ السَّماءِ عَلَيْكِ،

فَهاكِ فُؤادي،

وَهاكِ ٱنْدِفاقَ دَمي
في حُروفِ مِدادي...

وَأَنْتِ قَصيدَةُ عُمْري الجَديدِ
تُرَصِّعُني بِالحَياةْ،
فَشُدّي عَلَيْها يَدَيْكِ،
وَخُطّي بِحِبْرِ دَمي الكَلِماتْ...
وَٱدْخُلي ذاتَكِ الآنَ:
كُلُّ حُروفي غِناءٌ
وَكُلُّ كِياني حُبورٌ لَدَيْكِ.

***

ذاتُكِ الآنَ وَمْضٌ يُحيطُ بِعالَمِكِ، وَيَكْشِفُ لَكِ فَضاءاتِ الأَلَقِ، وَغاباتِ الغِبْطَةِ المخَبَّأَةِ؛ وَبَيْنَ الخطْوَةِ وَالخطْوَةِ أَلْفُ أَلْفُ قَهْقَهَةٍ، وَأَلْفُ أَلْفُ ٱبْتِسامٍ.

أُعْبُري غاباتِ ذاتِكِ البَيْضاءَ تَتَكَشَّفْ لَكِ قُوَّةُ حُضورِكِ، وَتَطيرَ بِكِ إِلى فَضاءاتِ الذُّهولِ، حَيْثُ يَمْتَدُّ سِرُّكِ الضّائِعُ الَّذي حَجَبَهُ عَنْكِ رُكامُ الماضي الرَّهيبُ.

هاتي يَدَكِ، فَيَغْدوَ العبورُ رِحلةً مشرِقةً، وَٱنْخِطافًا غارِقًا في الرَّجاءِ، نَحْوَ عالَمٍ لا نِهايَةَ لَهُ.

خُذي يَدي، وَأَنْتِ داخِلَ ذاتِكِ، فَتَلينَ المعابِرُ، وَتَنْبَسِطَ الطَّريقُ مُزَيَّنَةً بِأَضْواءِ البَهْجَةِ، وَرَوْعَةِ الاكْتِشافِ.

خُذي يَدي، وَأَيْقِظي ٱنْخِطافَ قَلْبِكِ، فَيَعودَ إِلَيْكِ رَبيعُ المفاجَأَةِ، وَمَطَرُ الحبورِ ٱلَّذي يَبْعَثُ الموات.

خُذي يَدي، وَٱرْسُمي بِها وَجْهَكِ وَهُوَ يَرى إِلى الزَّمَنِ الجَديدِ، وَكِيانَكِ وَهُوَ يَصْعَدُ مِعْراجَ الانْكِشافِ، نَحْوَ قَلْبيَ المَفْتوحِ.

كَانَتْ ذاتُكِ المَفْتوحَةُ لَنا مُزَيَّنَةً بِغِناءِ العُلى الهامِسِ، يَتَصاعَدُ كَبُخارِ النّورِ لِيُغَطِّيَ وَجْهَيْنا، وَيُصَفِّيَ كِيانَيْنا مِنْ جِراحِ الغابِرِ، وَآلامِ الأَباطيلِ.

كَانَ كُلُّ شَيْءٍ أَبْيَضَ كَالضِّياءِ، أَشَدَّ رَهافَةً مِنْ قَوْسِ قُزَحَ، وَأَلْطَفَ مِنْ رَفْرَفاتِ النَّسيمِ.

تَرْسُمينَ، في ذاتِكِ، ٱلثَّوانيَ سُلَّمًا مِنَ الموسيقى، تُوَقِّعُ روحَكِ وَهِيَ تَتَحَرَّكُ نَحْوي، لِنَرْقى مَعًا إِلى حَنْجَرَةِ السَّماءِ.

تَرْسُمينَ، في ذاتِكِ، ٱلْعالَمَ شَفَّافًا، رَهيفًا، يَمْتَلِئُ بِكِيانِكِ وَهُوَ يَسْتَغْرِقُ في كِياني، لِيَسْتَمِدَّ مِنْهُ رَجاءَ التَّغْييرِ، وَقُوَّةَ الاسْتِمْرارِ. وَأَرْسُمُكِ أَنا عَالَمًا مِنَ الصّفاءِ،

يُعيدُ إِلَيَّ رَجائي، وَيَرُدُّ الالْتِئامَ، وَيَفْتَحُ في قَلْبي زَهْرَةَ ٱلسّماءِ ٱلّتي أَضَعْتُها.

***

هَذا هُوَ الشَّفيرُ الأَخيرُ،

فَٱدْخُلي إِلى ذاتِكِ، وَٱفْتَحي نَوافِذَها لِلشَّمْسِ، وَبابَها لِقَلْبي.

هَذا هُوَ الشَّفيرُ الأَخيرُ،

فَلا ضَيَاعَ، بَعْدُ، وَلا خِسْرانَ، وَلا جِراحَ...

لَمْلِمي أَشْجانَكِ، وَذُرّيها بِقَلْبي، وَسيري قُدُمًا في ذاتِكِ نَحْوَ نورِ الهُدوءِ، وَبُحَيْراتِ الصّفاءِ.

هذا هوَ الشَّفيرُ الأَخيرُ،

فَٱمْسَحي عَنْ زَمانِكِ الجَديدِ صَدَأَ الماضي، وَٱتْرُكي خَطْوَكِ الرَّقيقَ في القَلْبِ عَميقًا، إِلى حَيْثُ لا

رُجوعَ، وَأَزيحي سَتائِرَ عَيْنَيْكِ لِتَصيرَ كُلُّ نَجْمَةٍ في قَلْبي أَيْقونَةً لِكِيانِكِ المتَجَدِّدِ، وَكُلُّ بَسْمَةٍ نَبْضًا جَديدًا في كِتابِ الرَّجاءِ.

إِمْسَحي صَدَأَ الماضي عَنْكِ، وَٱغْتَسِلي بِكَوْثَرِ قَلْبي، فَتَخْرُجَ مِنْ أَعماقِكِ يَنابيعُ العِشْقِ، وَتَرْتَفِعَ بِك إِلى سَمْتِ ذاتِكِ، حَيْثُ تَنْتَظِرُكِ روحي وَذاتي وَجَسَدي وَكامِلُ كِياني.

إِمْسَحي صَدَأَ الماضي عَنْ ذاتِكِ ٱلَّتي ٱنْفَتَحَتْ لي، وَٱغْسِلي عَيْنَيْكِ الوارِفَتَيْنِ بِالنّورِ، وَٱقْشُري عَنْ قَلْبِكِ رُكامَ الشَّجَنِ الطَّويلِ، فَيَنْبِضَ مُجَدَّدًا بِالفَرَحِ، ويَعْمُرَ بِالهُدوءِ وَالرَّجاءِ.

وَهاكِ يَدي؛ خُذيها، وَٱسْلُكي سَبيلَ الانْخِطافِ فِيَّ، وَٱعْبُري بقَلْبي بِحارَ القَلَقِ، إِلى شَواطِئَ لَيْسَ فيها

غَيْرُ سِحْرِ عَيْنَيْكِ، وَبِحارِ عِشْقِكِ الأَزْرَقِ بِلَوْنِ السَّماءِ...

هاكِ يَدي؛ خُذيها، وَٱفْتَحي قَلْبي عَلى رِحابِ قَلْبِكِ الجَديدِ، حَيْثُ لا شَيْءَ غَيْرُ الصَّفاءِ، وَغَيْرُ أَرْضٍ بِكْرٍ، لَمْ تَطَأْها ذاتٌ مِنْ قَبْلُ، وَلا دَخَلَ إِلَيْها نورٌ قَبْلَ نوري... وَكوني الجَنَّةَ الَّتي تَفَتَّحَتْ وُرودُها في فُؤادي، وَمَلَأَ أَريجُها كِياني، وَانْكَشَفَتْ أَعْماقُها لي فِرْدَوْسًا مِنَ الأَلْوانِ الصّافِيَةِ، وَإِلَهًا صَغيرًا مِنْ نورٍ وَأَريجٍ، يَمْسَحُني بِالبَرَكَةِ، وَيَفْتَحُ في قَرارَتي، مَرَّةً أُخرى، حُدودَ السَّماءِ...

٥ – الدّخول إلى النّور

شَمْسُ حَياتي تُشْرِقُ، مرَّةً أُخرى، مِنْ أُفُقِ عَيْنَيْكِ؛

فَٱرْفَعيني إِلَيْكِ، وٱجْعَلي قَلْبي غِلالَةً لِقَلْبِكِ، وَعَيْنَيَّ مَدارًا لِعَيْنَيْكِ، وَكِياني أَرْضًا يَعْبُرُ عَلَيْها كِيانُكِ، لِيَفْتَحَ لِيَ النّورَ؛ وَٱنْزِلي إِلَيَّ، إِلى نَبْضِ فُؤادي، لِيُشْبَعَ بِالحَياةِ، ويَعودَ مُؤْتَلِقًا بِحَرارَةِ ابْتِسامَتِكِ الوادِعَةِ.

إِرْفَعيني إِلَيْكِ، وَأَضيئي كِياني بِنُجومِكِ، وَٱمْسَحي عَنّي وَعَنْكِ غُبارَ هذا العالَمِ، وَٱكْشِفي أَعْماقَكِ لِلنّورِ، فَيَحْمِلَ كائِنَكِ إِلى أَثيرِ الحُلُمِ الكَبيرِ.

إِرْفَعيني إِلَيْكِ،

وَأَضيئي قَرارتي بابْتِسامَتِكِ، لِيَنْزاحَ عَنْهُ ما يَحْجُبُ الأَلَقَ، وَيَنْكَشِفَ الذُّهولُ في انْخِطافِ القَصيدَةِ.

تُشْرِقينَ عَلَيَّ مِنْ أُفُقِ عَيْنَيْكِ،

فَٱسْتَغْرِقي في حُلْمِكِ المتَفَتّحِ، وَقَدِ ٱنْزاحَ عَنْكِ رُكامُ الماضي، وَصَفاقَةُ الأَيّامِ الَّتي حَجَبَتْ قَلْبَكِ السّماوِيَّ.

تُشْرِقينَ عَلَيَّ مِنْ أُفُقِ عَيْنَيْكِ،

فَٱدْخُلي إِلى أَعْماقِ ذاتي، وَٱنْسُجي مِنْ ضَوْءِ عَيْنَيَّ ثَوْبًا لِروحِكِ المنْكَشِفَةِ، وَمِنْ نَبْضِ قَلْبي سَريرًا

تَأْوينَ إِلَيْهِ مَتى تَعِبْتِ، وَمِنْ دَمي حِبْرًا لِقَصيدَتِكِ الكُبْرى؛ وَكوني خُبْزي مَتى جاعَتْ روحي، وَنورَ عَيني مَتى أَحاطَ بِها الظَّلامُ، وبَلْسَمَ وُجودي مَتى غَطّاهُ الأَسى.

أُدْخُلي إِلى أَعْماقِ ذاتي، وَابْدَإِي كِتابَةَ إِنْجيلِنا الجَديدِ...

لَيْسَ بَيْني وَبَيْنَكِ غَيْرُ هذا النّورِ الّذي يَلُفُّ روحَيْنا، وَيَرْقى بِنا إِلى مِعْراجِ الآتي، حَيْثُ الأَرْضُ غارِقَةٌ في البَياضِ، وَالعُمْرُ مَدًى مُنْخَطِفٌ مِنْ أَناشيدِ الأَعالي.

لَيْسَ بَيْني وَبَيْنَكِ غَيْرُ هذا السِّرِّ الهامِسِ، ناهِضًا مِنْ قَرارَةِ الأَلَقِ.

لَيْسَ بَيْني وَبَيْنَكِ غَيْرُ ٱنْكِشافٍ أَبْعَدَ مِنَ الكَلامِ، وَوَقْعٍ أَبْيَضَ، أَرْوَعَ مِنْ هَمْسِ الملائِكَةِ.

لَيْسَ بَيْني وَبَيْنَكِ غَيْرُ إِنْجيلِ البِدايَةِ المدْهِشَةِ، وَالانْخِطافِ المضيءِ كَالصّلاةِ.

لَيْسَ بَيْني وَبَيْنَكِ غَيْرُ سَماءٍ تُزَيِّنُنا بِالدَّهْشَةِ، وَإِلَهٍ يَحْنو عَلى روحَيْنا، لِيَتْرُكَ فيهِما ٱبْتِسامَةَ الفِرْدَوْسِ...

فَآهِ، آهِ، اهْدَإِي...

***

إِرْفَعيني إِلى نورِ عَيْنَيْكِ
كَيْ أُبْصِرا،
وَٱبْدَإِي رِحْلَةَ الكَشْفِ
خَلْفَ كِياني،
ونامي بِعَيْنَيَّ،
أَجْمَلَ مِنْ حُلُمٍ مُزْهِرٍ،
فَأَرى

عَبْرَ عَيْنَيْكِ كُلَّ حُدودي
وَضَوْءَ زَماني،
وَيَرْجِعَ بُسْتانُ عَمْري
مَدًى أَخْضَرا...

إِرْفَعيني إِلى نورِ عَيْنَيْكِ،
هاتي يَدَيْكِ،
وَطيري بِنا في بَراري الذُّهولِ
لِنَقْطِفَ مِنْ شَجَرِ العِشْقِ أَثْمارَهُ،
وَنُظَلِّلَ آفاقَنا
بِالشُّروقِ الطَّويلِ.
إِمْسَحي قَلَقي،
وَاكْسِري الوَقْتَ،

وَٱمْحي القَتامَ ٱلَّذي حاصَرَ الذّاتَ
قَبْلَ انْكِشافِكِ،
وَٱمْضي إِلى نورِ قَلْبي،
وَشُدّي رَجائي
إِلى زَهْرِ تِلْكَ الحُقولِ،
وَكوني دَمي،
وَٱنْبِضي في فُؤادي عَميقًا،
لِآخُذَ مِنْكِ بَهاءَ فُصولي...
إِرْفَعيني إِلى نورِ عَيْنَيْكِ،
وَٱخْتَرِقي الدَّرْبَ نَحْوَي
لِنَرْقى إِلى النُّورِ.
لَيْسَ سِوانا
يُزَيِّنُ وَجْهَ الزَّمانِ بِأَحْلامِهِ،
وَيُوَشّي حُقولَ الضِّياءْ؛

وَلَيْسَ سِوانا
يَمُرُّ كَما الحُلْمُ مُنْخَطِفًا،
رائِعًا،
بَيْنَ قَلْبِ الإِلَهِ
وَتَسْبيحِ هذا الفَضاءْ...
وَلَيْسَ سِوانا
بَريقًا مِنَ الشِّعْرِ
يَحْمِلُ لِلْأَرْضِ أُنْشودَةَ المستَحيلِ
وَوَجْهَ السَّماءْ...

***

تُشْرِقينَ عَلى أُفُقِ حَياتي،

فَهاتي يَدَكِ لِنَدْخُلَ مَعًا إِلى مَدارِ النّورِ، فَتَعودَ إِلى الرَّبيعِ خُضْرَتُهُ، وَإِلى الحُقولِ بَرَكَتُها، وَإِلى قَلْبي مِظَلَّةُ الحُبورِ.

هاتي يَدَكِ، وَلْنَبْدَأْ.

هَذا هُوَ ٱنْخِطافُنا الجديدُ نَحْوَ أُفُقِ النّورِ:

كُلُّ شَيْءٍ أَبْيَضُ، وَالأَناشيدُ هامِسَةٌ تَتَغَلْغَلُ إِلى الأَعْماقِ كَالبَلْسَمِ الرّائِعِ.

كُلُّ ما فينا مَفْتوحٌ على رَذاذِ الضِّياءِ الصّافي، يَتَحَرَّكُ قُدُمًا إِلى فَوْقُ، إِلى فِرْدَوْسٍ جَديدٍ، مُنْكَشِفٍ عَلى الأَلَقِ، يَحْضِنُ قَلْبَيْنا، وَيُوَزِّعُ عَلَيْنا خُبْزَ الفَرَحِ، وَثِمارَ الانْكِشافِ.

كُلُّ ما فينا تُظَلِّلُهُ أَشْجارُ النُّورِ، نَمُرُّ مِنْ تَحْتِها إِلى بُحَيْرَةِ الأَلَقِ، عارِيَيْنِ إِلّا مِنْ ذاتَيْنا، وَنَنْزِلُ إِلى مائِها،

نَغْسِلُ بِهِ تَعَبَ الأَيّامِ الَّتي خَلَتْ، وَصَدَأَ الماضي الثَّقيلِ الَّذي كَبَّلَ جُموحَ خَطَواتِنا.

كُلُّ شَيْءٍ أَبْيَضُ،

يَغْسِلُهُ النُّورُ المُنْدَفِقُ عَلَيْنا مِنْ أَعْماقِنا، لِيَنْفَتِحَ عَبْرَ كِيانِنا عَلى أَرْوَعِ رِحْلَةٍ تَقودُ إِلى الشَّمْسِ، خارِجَ يَباسِ الأَيّامِ المُرْهَقَةِ، وخارِجَ الزّمَنِ الَّذي ٱنْطَفَأَ بَعيدًا عَنْ ذُهولِنا، وَعَبْرَ خَطَواتِنا يَنْبُتُ ياسَمينُ الغِبْطَةِ، وَشَجَرُ الدُّهولِ يَعْبُرُ ذاتَيْنا، جُذورُهُ في أَعْماقِنا، وَرَأْسُهُ موغِلٌ في السَّماءِ...

هَذِهِ هِيَ القَصيدَةُ الأَخيرَةُ،

فَٱرْحَلي في حِبْرِها المضيءِ، وَشُدّي إِلَيْها كِيانَكِ، وَأَوْثِقيهِ بِكِياني، لِنَعْبُرَ بِها نَحْوَ الفِرْدَوْسِ المسْتَعادِ.

٦ – فصل الزِّفاف

رَفَعْتِني إِلى ذاتِكِ، فَٱنْفَتَحَ الضَّوْءُ عَلَيْها، وَٱنْخَطَفْنا مَعًا، فَكانَ الزِّفافُ.

هذا هوَ الحَدُّ الأَخيرُ مِنَ الدُّخول،

فَٱسْتَرْسِلي في بَهاءِ النِّعْمَةِ، وَٱحْمِلي لي ما يَجْعَلُ ذاتي حُضورًا شَفّافًا في وَليمةِ التَّخَطّي، وَكوني أَنْتِ الزَّيْتَ الَّذي يَمْسَحُ قَلْبي بِطُهْرِ الجَسَدِ حينَ يَتَواصَلُ، وَبِوُلوجِ الرّوحِ حِينَ تَخْتَرِقُ كِياني... حَتّى القَرارِ...

إِسْتَرْسِلي في بَهاءِ النِّعْمَةِ،

وَٱعْبُري بي إلى ضِفافِ عَيْنَيْكِ، حَيْثُ أُلَوِّنُ روحي بِكِ بَعْدَ أَنْ خَطَفَها الغِيابُ، وَأَقْرَأُ في جَنَّةِ كِيانِكِ آياتِ العُبورِ إلى العُلى، وَسُوَرَ الصَّفاءِ وَهِيَ تَجْعَلُني بَخورًا لِقَلْبِكِ، يَحْتَرِقُ فيهِ، لِيَصْنَعَ الآتِيَ النّازِلَ عَلَيْنا مِنْ فَوْقُ.

وَفي عُمْقِ الانْخِطافِ الأخيرِ، أَعْبُرُ مِنْ ذاتي إِلَيْكِ، لِأَحْمِلَ لَكِ رَبيعَ الحَياةِ، وَعيدَ الزِّفافِ في انْتِشارِ الضَّوْءِ.

فَٱسْتَرْسِلي في بَهاءِ النِّعْمَةِ،

وَكوني عيدَ الحُضورِ في قَلْبِيَ المفْتوحِ لَكِ،

وَٱرْفَعيني إلى صَفائِكِ المكْشوفِ، لِيَصيرَ الزَّمانُ مَعْبَرًا إلى دروبِ الأَثيرِ، وَهُوَ يَبْني في عَيْنَيْكِ الإِلَهِيَّتَيْنِ مَعْبَدَ الحُلُمِ الَّذي لا يَنْتَهي.

هذا أَوانُ الزَّفافِ،

فَلْتَنْفَتِحِ المعابِرُ لَنا، في ٱتِّحادِنا الرّائِعِ، وَلْيَكْتُبِ الشِّعْرُ آخِرَ قَصيدَةٍ مِنْ نَبَضاتِ قَلْبَيْنا، وَمِنْ حُروفِ ٱنْخِطافِنا إلى سِرِّ الفِرْدَوْسِ.

هَذا أَوانُ الزِّفافِ.

سَأَجْعَلُ طَرْحَةَ عُرْسِكِ قَلْبِيَ النَّابِضَ لَكِ، تَسْحَبينَ الشِّعْرَ فيها وَراءَكِ، لِيَمْسَحَ كُلَّ ما فاتَ، وَيَغْرَقَ الزَّمانُ في أَلَقِ الاتِّحادِ.

سَأَجْعَلُ طَرْحَةَ عُرْسِكِ عُروقي وَشَرايِيني، وَنَبْضَ القَصيدَةِ الَّتي تَخْتَصِرُ الوُجودَ وَكُلَّ مَعْنى الأَبَدِ، في ٱبْتِسامَةِ عَيْنَيْكِ.

سَأَجْعَلُ طَرْحَةَ عُرْسِكِ حَياتِيَ الَّتي أُحْرِقُها بَخورًا لَكِ، لِتَكونَ الصَّلاةَ الأَخيرَةَ في كَنيسَةِ الأَلَقِ المفْتوحِ.

هَذا أَوانُ النِّعْمَةِ،
فَٱخْتَصِري البَوْحَ بِعِشْقِكِ الوَثيرِ،
وَٱهْدَإِي عَلى امْتِدادِ كِياني،
آهِ، ٱهْدَإِي...

***

عِنْدَما يَدْخُلُ الوَقْتُ أَيْقونَةَ النُّورِ،
وَالشِّعْرُ يَرْسُمُ وَجْهَكِ
في أَرَجِ الأُغْنِياتْ،
عِنْدَما يَكْسِرُ العِشْقُ كُلَّ الحُدودِ،
وَيَخْتَصِرُ الكَلِماتْ،
يَبْدَأُ الوَقْتُ مِنْ خارِجِ الوَقْتِ،
يَنْحَسِرُ المسْتَحيلُ،
وَتَفْتَحُ أَعْماقُنا بَابَها

لِضِياءِ الحَياةْ.

كُلُّ حَرْفٍ أَخُطُّ بِنَبْضِ عُروقي
أُوَشّيهِ بِالحُلْمِ،
أَرْسُمُهُ في صدى الأُمْنِياتْ،
لِتُلَوّنَ عْرْسَكَ أُنْشودَةُ الرّوحِ.
كُلُّ دمي حِبْرُ عَيْنَيْكِ
في فَرَحِ الصَّلَواتْ.

كُلُّ شِعْرٍ،
مَتى مَسَّ طَرْحَةَ عُرْسِكِ،
عادَ بَخورًا

تُصَعِّدُهُ غَمْغَماتُ ٱنْتِشائِكِ
والضَّوْءُ وَهْوَ يَزينُ مَدى الغَمْغَماتْ...

فَٱهْدَإِي،
وَٱعْبُري الوَقْتَ
نَحْوَ انْفِتاحِ الزَّمانِ.
هُوَذا العِشْقُ يَكْتُبُ آياتِهِ
في ذُهولِ الكِيانِ،
هُوَذا وَجْهُكِ الآنَ
في الأَبْيَضِ المنتَشي
يَبْدَأُ الشِّعْرَ
خَلْفَ حُدودِ الأَماني.

رَقَصَ الفَرَحُ المتَدَفِّقُ فيكِ
وَأَوْقَدَ أحْلامَ الآتي،
وَتَأَوَّهَتِ الدُّنْيا مِنْ فَرَحٍ،
وَاتَّحَدَتْ ذاتانا
في عُرْسِ الآهاتِ.
رَقَصَتْ عَيْناكِ
على أَحْلامِ الصَّلَواتِ.
رَقَصَ الفِرْدَوْسُ
عَلى إيقاعِ الأَبَدِيَّهْ،
وَتَلَوَّنَ قَلْبُ الأَرْضِ بِقَلْبِكِ،
يَقْطِفُ زَهْرَ الأَحْلامِ السِّحْرِيَّهْ.
رَقَصَتْ قافِيَةُ الشِّعْرِ على أَحْلامِ الآتي
لِيَصيرَ غِناءُ الأَعْلى

بابًا
نَدْخُلُ مِنْه
إِلى الأَحْلامِ المنْسِيَّهْ.

هُوَذا الآتي
يَبْدَأُ مِنْ وَقْعِ خُطاكِ
عَلى الأَلْحانِ الفِرْدَوْسِيَّهْ.

***

هذا أَوانُ الزِّفافِ،
فَٱرْقُصي على إِيقاعِ الفَرَحِ الكَوْنِيّ، وَٱكْتُبي في ضُلوعي حُبورِكِ الأَبْيَضَ، وَعلى صَفَحاتِ حَياتي تَكْوينَكِ الجَديدَ.

كُلُّ حَرْفٍ نَشيدٌ،

كُلُّ حَرْفٍ تاريخٌ مُغَمَّسٌ بِالنّورِ، يَفيضُ مِنْ قَلْبِكِ إِلى قَلْبي، ويَبْدَأُ التَّغْييرَ في حُدودِهِ المديدَةِ.

كُلُّ حَرْفٍ دُنْيا مِنَ الأَلْوانِ، تَنْسُجُ المكانَ ثَوْبًا مِن ٱنْخِطافٍ بِلا حُدودٍ.

وَعِنْدَما تَمْتَدُّ النِّعْمَةُ إِلى أَرْجاءِ كائِني، تَمُرّينَ يَدَكِ عَلى روحي، فَيَنْتَفِضُ الفَرَحُ فيها، وَتَعْمُرُ بِالأُغْنِياتِ، تُلَوِّنُها رِقَّتُكِ النّازِلَةُ مِنَ السَّماءِ، في ثَوْبٍ أَبْيَضَ كالثَّلْجِ، وَتَأْوي إِلى روحِكِ في تَرْنيمَةِ الأَبَدِ.

هَذا أَوانُ الزِّفافِ، أَوانُ الزَّمَنِ الجَديدِ:

كُلُّ أَرْضٍ سَماءٌ،

كُلُ حَرْفٍ نَشيدٌ.

وَلا شَيْءَ... لا شَيْءَ غَيْرَ روحَيْنا تَتَعانَقانِ عَلى أَمْواجِ النّورِ، في بَهاءٍ لا حَدَّ لَهُ.

لا شَيْءَ غَيْرَ قَلْبَيْنا يَقْرَأانِ إِنْجيلَ الوَحْدَةِ، بَيْنَ ٱبْتِساماتِ الملائِكَةِ، وَأَجْراسِ الرَّجاءِ الَّتي تَقْرَعُ في أَنْحاءِ الكِيانِ.

لا شَيْءَ غَيْرَ خُطانا تَسْلُكُ طريقَ الفِرْدَوْسِ المسْتَعادِ.

(٢٤ – ٢٨/ أيار/ ٢٠١٧)

موغِلًا في حُقولِ الضِّياءْ،
أَجْمَعُ الشِّعْرَ
في ضَوْءِ عَيْنَيْكِ
مُنْخَطِفًا في حُروفِ القَصيدَهْ،
حِبْرُها مِنْ دَمي،
راسِمًا فَوْقَ هَذي السُّطورِ المديدَهْ
أُفُقًا مِنْ بَهاءِ رُؤانا
يُزَيِّنُ هذا الفَضاءْ...